القيم الإسلامية بين الثبات والتغير وأثرها على المجتمع المسلم المعاصر

تأليف

فريال خالد سليمان العيسى

مدرب متخصص (ج)

قسم التربية العملية – كلية التربية الاساسية–

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي بالكويت

الملخص

هذا البحث يرصد العلاقات والتفاعلات التي تنشأ بين أفراد المجتمع المسلم، وما يترتب عليها من بعض التغيرات التي تشمل النظم الاجتماعية والقيم والعادات والتقاليد وغيرها من الأمور التي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات، ويستهدف هذا البحث إلقاء الضوء على نماذج من القيم الإسلامية التي تنظم حياة الأفراد في المجتمع المسلم، وتهديهم لأقوم الطريق، وأحسن السبيل، وإبراز هذه القيم في المجتمعات الإسلامية، ضمان لرقي المجتمع، ونهضته، واستقراره.

ويبين هذا البحث العلاقة بين الثبات والتغير، وأن القيم الإسلامية ثابتة في أصولها وأهدافها، وأن التغير في تطبيق القيم هو من أجل الثبات وداخل في إطاره، لا خروجًا عليه وليس معارضًا لأهدافه العليا. ودلالة قاطعة على صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.

Abstract

This study explores the relationships and interactions arise between the members of the Muslim community that ,values ,social systemsin and the consequent changes traditions and other things that affect the behavior ,customs to The purpose of this study is .of individuals and groups c values that guide and shed light on models of Islami regulate life in Muslim society And to highlight these values of the Islamic communities within the promotion of .stabilityit's the community and

The study shows the relationship between constancy and change ,the Islamic values in their origins and objectives are fixed ,And that the change in the application of values is for constancy and within its framework,not against to its supreme objectives and a clear indication of the validity of the Islamic religion for all time .and place

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله.

وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد،،

فإن العلاقات والتفاعلات التي تنشأ بين أفراد المجتمع أمر طبيعي.

ويترتب على هذه الصلات بعض التغيرات التي تشمل النظم الاجتماعية والقيم والعادات والتقاليد، وغيرها من الأمور التي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات.

ويستهدف هذا البحث إلقاء الضوء على نماذج من القيم الإسلامية التي تنظم وتهدي الحياة في المجتمع المسلم، وإبراز هذه القيم للمجتمعات الإسلامية ضمان لرقي المجتمع ونهضته واستقراره.

ولن نستطيع خلال هذا البحث أن نتعرف على الثبات والتغير لكل القيم الإسلامية، ولكن سنختار بعضها محاولين إثبات العلاقة بين الثبات والتغير، وبيان أن الثبات ليس ضد التغير، وأن التغير ليس ضد الثبات، ولكن التغير أحيانا يكون من أجل الثبات، وداخلا في إطاره.

وأن القيم الإسلامية ثابتة في أصولها وأهدافها ونظام القيم في الإسلام محكوم عليه بقيم عليا نهائية، وأن التغير في تطبيق القيم هو من أجل الثبات، وداخل في إطاره، لا خروجا عليه، وليس معارضة لأهدافه العليا، ودلالة قاطعة على صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.

وهذا البحث يتكون من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما التمهيد: فتناولت فيه التعريف بالقيم بالمعنى العام، والتعريف بالقيم الإسلامية، والفرق بينها وبين القيم والأخلاق.

المبحث الأول: القيم الإسلامية بين الثبات والتطور.

المبحث الثاني: الترغيب في القيم الإسلامية المتفقة للسلوك الإسلامي.

المبحث الثالث: الترهيب من الأخلاق المخالفة للقيم الإسلامية.

المبحث الرابع: القيم الإسلامية في مواجهة المتغيرات المعاصرة، وأثرها على الفرد والمجتمع.

ويلي ذلك خاتمة البحث، ومصادره.

وأخيرًا أسأل الله التوفيق في معالجة هذا الموضوع الهام في المجتمع المسلم المعاصر.

فريال خالد سليمان العيسى
مدرب متخصص (ج)
قسم التربية العملية

(التمهيد)

التعريف بالقيم لغة واصطلاحا.

القيم في اللغة: جمع قيمة وهي مأخوذة من مادة قوم يقول ابن منظور[1] والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، والقيم مصدر بمعنى الاستقامة ومن ذلك القيم في قوله تعالى " دِينًا قِيَمًا "[2]

ومعناه دينا مستقيما لا عوج فيه.

القيم في الاصطلاح:

يختلف مفهوم القيمة بالمعنى الاصطلاحي باختلاف المجالات والاتجاهات والآراء، وكلها مفاهيم نابعة من تخصص أصحابها، وهي بالقطع تختلف عن المفهوم الإسلامي للقيم.

التعريف بالقيم الإسلامية:

يعرفها الدكتور / علي خليل مصطفى، بأنها: مجموعة من المعايير، والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون، والحياة، والإنسان، والإله، كما صورها الإسلام. [3]

ويعرفها الدكتور / حامد زهران، بأنها حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه، والمرغوب عنه، من السلوك.[4]

من خلال هذين التعريفين: يتضح لنا أن القيم الإسلامية تصدر عن مصادر الإسلام ذاته، أي أنها تستمد من القرآن والسنة والأحكام الشرعية وهي قيم موضوعية

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٥٠٠.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم (١٦١).

(٣) القيم الإسلامية والتربية للدكتور / علي خليل مصطفى صـ ٣٤.

(٤) علم النفس الاجتماعي للدكتور/ حامد زهران صـ ١٣٢.

أي من عند الله تبارك وتعالى عن طريق الوحي، وترتبط القيم الإسلامية بالجزاءات الدنيوية والأخروية.

الفرق بين القيم الإسلامية والقيم الإنسانية.

من خلال ما ذكرناه من مفهوم القيم الإسلامية يتضح لنا الفرق بينها وبين القيم الإنسانية.

فالقيم الإنسانية: هي تلك المبادئ والعادات والأخلاقيات التي نستخدمها ونستعملها في حياتنا باستمرار من خلال مجموعة الأحكام التي تصدر من العقل، وتوجه الإنسان نحو رغباته واتجاهاته المكتسبة من المجتمع الذي يعيش فيه، والتي تعمل على تحريك سلوكه، فهي بناء يبدأ من داخل الإنسان ويُعَزَّز وينمو من خلال الحياة ومن خلال تجاربه التي يمر بها، وهذه القيم تتنوع بين:

القيم الاجتماعية، والاقتصادية، والجمالية، والشخصية.

وقد اكتسبت البشرية عبر تاريخها الطويل قيما إنسانية عليا ولم تبلغ تلك القيم كمالها إلا حينما اتصلت بخالقها عن طريق الرسالات السماوية، ولكن حينما تسود أهواء البشر تخلد الإنسانية إلى الأرض فتضل وتنحط قيمها وهذا هو ما أكد عليه القرآن الكريم منذ نزل على قلب النبي ﷺ منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة فقد أنزلت سورة العصر وهي مع قصرها وقلة كلماتها فإنها تمثل الطريق الذي يهدي الإنسان إلى الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1] .

وكلمة الإنسان ورد ذكرها في القرآن الكريم ست وخمسون (٥٦) مرة.[2]

---

(١) سورة العصر.

(٢) القيم الإنسانية في الإسلام، د/ عبدالله بن علي بصفر، =

وقد جاءت لتكشف في الإنسان سلوكًا إيجابيًا وآخر سلبيًا كما سنوضح خلال البحث حيث خلق الإنسان ضعيفًا ويائسًا وقنوطًا وكادحًا وكنودًا وظلومًا جهولًا وهلوعًا وجزوعًا، وفي الوقت نفسه بين القرآن السبل والوسائل التي تأخذ بيد الإنسان ليتخلى عن هذه الصفات السلبية ويحولها إلى قيم إيجابية تتسم بالسماحة والإخاء والمساواة والتعارف والتكافل والإيثار والصبر والعدل والتعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾(2)، وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾(3)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾(4)

أما القيم الدينية: فإنها تعني كما أوضحنا، الالتزام بالأحكام الدينية وتنفيذ أحكامه وشريعته والالتزام بالأخلاق الإسلامية ابتغاء مرضاة الله تعالى.

العلاقة بين القيم والأخلاق.

يوجد تقارب بين مفهوم القيم والأخلاق ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، ولكن إذا كانت القيم تتعلق بجوانب شتى من الحياة، فإننا نكاد

= القيم الإنسانية في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي، موقع البصائر القرآنية.

(1) سورة هود من الآية رقم (9-11).

(2) سورة إبراهيم الآية (34).

(3) سورة الإسراء الآية (11).

(4) سورة النساء الآية (58).

نلمح فارقا بين الاثنين باعتبار أن الأخلاق تتصل أيضا بكافة جوانب الحياة.

ونستطيع القول بأن الأخلاق تستند في أصلها إلى قيم السلوك الفردي أو الاجتماعي، وبالتالي فلا يجب إهمال ما توصل إليه علماء الأخلاق عند دراسة القيم وكذا لا نهمل ما توصل إليه علماء التربية الذين اهتموا بدراسة القيم لأنها توضح مجالات الأخلاق التي تتصل بالالتزام والمسئولية والجزاء، وهذا يعطينا مؤشرًا هامًا على أهمية القيم والأخلاق في بناء الإنسان، وكذا أهميتهما كمصدر من مصادر الأهداف التي تُرتَجَى وتُؤمَلُ في نمو الشخصية المسلمة في المجتمع، ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة الأولى حيث يؤمن الفرد بالقيم ويكتسبها.

وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد أن مواقفه يجب أن تتسم بالقيم والأخلاق وذلك حتى يشارك بفاعلية في حياة المجتمع.

مما سبق ذكره يتضح لنا الفرق بين القيم والأخلاق.

فالقيم: كل ما له قيمة، وهي تشمل أشياء كثيرة والأخلاق جزء منها.

بينما الأخلاق منها ما هو ذو قيمة ومنها ما ليس له قيمة.

مثال: تقدير المال وعدم الإسراف فيه يعتبر قيمة لكنه ليس خلقًا بينما الكرم خلق حسن، وهو قيمة، والبخل خلق ذميم، وهو ليس قيمة.

ومن خصائص القيم أيضًا أنها ذاتية ومتعدية أي أن منها ما هو مرتبط بالفرد نفسه، ومنها ما هو مرتبط بالآخرين، بينما الأخلاق فإنها متعدية ومرتبطة بالآخرين عادة.

والأخلاق قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، بينما القيم كلها حسنة، وكل ما له قيمة فهو طيب.

مثال العدوان خلق ذميم، ورحمة الآخرين خلق حميد، والقيم اسم شامل تدخل فيه الأخلاق ضمنا بينما الأخلاق مفهوم خاص. فكل خلق جيد قيمة، وليس كل قيمة خلق.

مثال: المحافظة على الوقت قيمة ولكنها ليست خلقًا بينما احترام المواعيد مع الآخرين خلق حسن وهو أيضًا قيمة. وتضييع أوقات الآخرين خلق سيء، ولكنه ليس قيمة.(١)

(١) انظر المراجع التالية: مفهوم القيم علي بن سعد بن مطر الحربي، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية.

- تحديد مفهوم القيم، مركز الدراسات والأبحاث في القيم.
- القيم والاتجاهات الإنسانية، مركز الدراسات والأبحاث في القيم.

(المبحث الأول)

القيم الإسلامية بين الثبات والتطور

القيم الإسلامية: هي التي تنظم الحياة وتهدي الفرد في المجتمع المسلم، فهي جزء من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي وحدها التي توصف بأنها قَيِّمَة، أي ذات قيمة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(١)، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾(٢) ، وفسر القرطبي لفظ " القيم " بأنه يعني: القائم المستقيم، وفسر قوله تعالى " ولم يجعل له عوجا " أي معتدلا، لا اختلاف فيه.(٣)

وقيم المجتمع المسلم تبعا لهذا هي مبادئ مستقيمة مستوية، لا اعوجاج فيها، ولا ظلم، ولا جور.

وهذا يعني أن كل مبدأ اجتماعي يعاند قيم المجتمع المسلم أو يناقضها، أو يخالفها، أو يعطلها، هو مبدأ معوج جائر.

فالواجب إبراز هذه القيم للمجتمعات الإسلامية ضمانا لرقي المجتمع، ونهضته، واستقامته، وازدهاره.

وكل قيمة أخلاقية في الإسلام تدور حول هذا المعنى فنقول مثلا عن العدل:

هل العدل ثابت أم قابل للتغيير ؟

وكذا نقول عن الصدق:

---

(١) سورة التوبة جزء من الآية رقم (٣٦).

(٢) سورة الكهف الآيتان (١، ٢).

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ١٣٤، ١٠/ ٣٤٨.

هل الصدق ثابت أم قابل للتغيير ؟

وكذا نقول عن الرحمة:

هل الرحمة ثابتة أم قابلة للتغيير ؟

فالحقيقة أن العدل قيمة ثابتة راسخة لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتأثر بالأحوال، أو المواقف، أو الأشخاص، وفي هذا المعنى يقول عزَّ وجل ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(١).

ومعنى هذا أن قيمة العدل مقدمة على قيمة الرحم، وصلة الرحم، فلو أن العدل اقتضى وقوع أي عقوبة على ذي رحم، فإن الإسلام يوجب الالتزام بالعدل.

بل إن العدل مقدم على بر الوالدين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(٢).

فقيمة العدل في الإسلام قيمة مطلقة، ولا أحد يُستَثنَى من قيودها الصارمة لا صغيرًا كان أوكبيرًا، مسلمًا كان أو كافرًا، وظلال العدل تمتد لتشمل جميع أفراد المجتمع، الكل فيه يثاب أو يعاقب ولا أحد في المجتمع الإسلامي فوق العدالة.

وبعد هذا البيان لقيمة العدل، هل يتصور أن تتغير ظروف المجتمع المسلم بحيث تحتاج في تقدمه إلى أن تغير شيئا في هذه القيمة الأخلاقية العالية.

يقول الدكتور/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم(٣): كل فرد في المجتمع يجب أن يحترم شعار: خذ ثمرة عملك، ودع لغيرك ثمرة عمله، احمل تبعة خطئك، ودع غيرك يحمل تبعة خطئه.

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية رقم (١٥٢).

(٢) سورة النساء جزء من الآية رقم (١٣٥).

(٣) الإسلام والحضارة للدكتور / أحمد عبدالرحمن إبراهيم ١ / ٤٠٨ بتصرف.

فهل يتصور أن تتغير ظروف المجتمع المسلم بحيث يحتاج في تقدمه إلى أن نكسر أو نغير مبدأ خذ ثمرة جهدك، ودع لغيرك ثمرة جهده ؟.

هل يتصور أن تنشأ حاجة أو حاجات اجتماعية تتطلب أن نغير هذه القيمة، ونقول خذ ثمرة جهد غيرك، أو لا تدع لغيرك ثمرة جهده.

إن تغيرا كهذا معناه الظلم والجور، وهما مرفوضان رفضا باتا وقاطعا في الإسلام.

وعلى هذا فالجواب واضح وحاسم وهو أن قيمة العدل ثابتة وراسخة، وشعار العدل مرفوع على الدوام ورايته خفاقة إلى يوم الدين.

بيد أن الحدود الفاصلة بين ثمرة جهدي، وثمرة جهدك، ليست محدودة واضحة، أو بارزة في جميع الأحوال.

فالأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية تتباين تباينا لا نهاية له، وكثير من هذه الأنشطة يؤدى بأيد كثيرة متعددة كالمشاركة في الزراعة والتجارة والعمالة في الصناعة والاستشارات المالية، وهنا تتدخل النتائج والثمار، ويصعب التمييز بين الأدوار التي أنتجتها وأهمية كل دور في ذلك.

هل يمكن أن نحدد ثمرة جهد صاحب الآلة أي المالك، وثمرة جهد العاملين من مهندسين وعمال.

فالخلاف هنا ليس على مبدأ العدل نفسه، ولكن على أهمية دور كل شريك، وتبعا لذلك يكون الخلاف على النسبة التي يحق له الحصول عليها من الأرباح.

والقضاء على هذه الخلافات يتطلب الوسائل التي من شأنها أن تكفل تحقيق قيمة العدل لفئات المجتمع وأفراده وطبقاته، وذلك بتحديد النسبة المستحقة لكل شريك، أو عامل، ولا ريب أن هذه الوسائل لن تكون إلا للقضاء، فالقاضي المسلم وحده هو الذي يستطيع أن ينهض بهذه التبعة الاجتماعية الخطيرة.

والنسبة العادلة المستحقة للشريك أو العامل نسبة متغيرة متبدلة، ومتباينة في

الوقت نفسه.

فدور العمال في طور الصناعة اليدوية يختلف عن دورهم في طور الصناعة الآلية.

وكذلك دور العامل الماهر المدرب يختلف عن دور العامل العادي.

ومن ثم كان من الضروري أن تتغير النسب المستحقة لصاحب المال والعمال من عصر إلى عصر.

وهكذا نرى بوضوح أن التغير ليس ضد الثبات ولا خروجا عليه بل هو داخل في إطاره، وبدون التغير يُنتَهكُ الثباتُ انتهاكا خطيرًا.

ومن ثم فالعدل بحاجة إلى تغير نسب الاستحقاق التي ينالها الشركاء والعمال وإلا فإن ظروف العمل والمشاركة مع الإبقاء على نسب معينة لابد أن ينتهي إلى الظلم الصارخ.

يقول ابن القيم(١) – رحمه الله – مقررًا هذا المبدأ الأصيل:

الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَمِ ومصالحِ العباد في المعاشِ والميعاد، وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلُّها، ومصالحُ كلُّها، وحكمةٌ كلُّها.

فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العَبَثِ، فليست من الشريعة، فالشريعة عدلُ اللَّهِ بين عباده، ورحمةٌ بين خلقه، وظِلُّهُ في أرضه، وحِكمَتُهُ الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتمَّ دلالة وأَصدَقَها.

وعندما نتأمل أيضا قيمة الصدق نجد فيه ثباتًا وتغيرًا، فبالرغم من أن القرآن الكريم ليس فيه آية واحدة تجيز الكذب، ومعنى هذا أن الصدق قيمة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال، وما يقال عن القرآن الكريم، يقال مثله عن السنة

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم، فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ٣/ ٥.

النبوية في كون الصدق قيمة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال.

وأن البهتان والافتراء والقذف والزور والنفاق كلَّهَا رذائلُ مُنكَرَةٌ في مجتمع الإسلام.

ولكن ماذا يجب أن نفعل إذا أيقنا أن الصدق سيؤدي إلى ضرر عظيم بالجماعة، أو يؤدي إلى إلحاق الضرر بالآخرين ؟.

هذا التساؤل يجيب عليه الإمام النووي[1] في رياض الصالحين بقوله: اعلم أن الكذب يجوز، وإن كان أصله محرما، يجوز في بعض الأحوال بشروط، مختصرها أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب، يحرم الكذب فيه. وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب، فإن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا، وإن كان واجبا كان الكذب واجبا، فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، وسُئِلَ إنسانٌ عنه وجب الكذب بإخفائه إلى أن قال: والأحوط في كل ذلك أن يُوَرِّي، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا فيه بالنسبة إليه، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية، وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا المجال.

وقال الماوردي: رخصت السنة بالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين على درجة التورية، دون التصريح به كما في إجابة أبي بكر الصديق ﷺ عندما سئل عن النبي ﷺ فقال: هادٍ يهديني السبيل. فظن السائل أنه يعني هداية الطريق، وهو إنما يريد هداية سبيل الخير.

وكما قال سيدنا سعد بن معاذ ﷺ عندما أرسله الرسول ﷺ ليستوثق من غدر يهود بني قريظة في غزوة الأحزاب.

فعندما تأكد من غدرهم لم يخبر الناس بالحقيقة انصياعًا لتوجيهات الرسول ﷺ،

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٢٥٧.

وَوَرَّى بقوله " عَضَلٌ والقارَّة " وكانت تلك الكلمة منه تعبيرًا عن نكث بني قريظة للعهد، باعتبار أن عضل والقارة رمز للخديعة والغدر.

يقول الدكتور/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم: فدفع المفسدة عن المجتمع يأتي قبل الصدق، وإذا تعارض الصدق مع المصالح الكبرى للأمة فإن من الواجب حجب الحقيقة أو اللجوء للتورية كما فعل النبي ﷺ، فإذا زالت الأسباب الموجبة لحجب الحقيقة، وجب كشفها فورًا دون إبطاء.(١)

وهكذا يبدو واضحا أن مصلحة الأمة هي الضابط الأعلى الذي يمسك بزمام الموقف الأخلاقي كله، ويحدد بوضوح نطاق التغير والثبات داخل القيم الجزئية.

فالسنة إذا تجيز تعطيل قيمة الصدق تعطيلا لحظيا وعلى مضض وصولا إلى صيانة قيمة اجتماعية أعلى وأشمل، وهي المصلحة الاجتماعية العليا للأمة.

وخلاصة القول أن القيم الإسلامية ثابتة في أصولها وأهدافها.

ونظام القيم في الإسلام محكوم بقيم عليا نهائية.

فالتغير في تطبيق القيم هو من أجل الثبات، وداخل في إطاره، وليس خروجًا عليه، وليس معارضة لأهدافه العليا، وما عرضناه من نماذج لبيان الثبات والتغير في القيم الإسلامية لدليل قاطع على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان.

---

(١) الإسلام والحضارة للدكتور / أحمد عبد الرحمن إبراهيم ١/ ٤٠٨، بتصرف.

(المبحث الثاني)

الترغيب في القيم الإسلامية المتفقة للسلوك الإسلامي

الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثرة في نفوس كثير من الناس، فالإنسان جبل على حب الخير، والرغبة في الحصول على كل نفع، كما طبع على بغض الشر، وما يصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير ويحميها من كل شر سواء كان ذلك عاجلًا أو آجلًا.

لأجل ذلك فالترهيب والترغيب يفيض بهما الكتاب والسنة.(١)

قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾(٢).

وسوف نوضح في هذا المبحث نماذج من القيم الإسلامية المتفقة مع السلوك الإسلامي، وقيمه التي دعا إليها الإسلام، ورغب فيها.

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة.

وقد جاءت الآيات والأحاديث توضح ما أعده الله للطائعين الحافظين لحدود الله، المطبقين لشرعه، المتأسين بأخلاق النبي ﷺ، من عظيم الثواب والجزاء الإلهي في الدنيا والآخرة

والقيم الإسلامية المتفقة للسلوك الإسلامي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:-

أولا: العدل

---

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٣٠١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان رقم (٩، ١٠).

هو التزام الحق قولا وفعلا، أو هو إعطاء كل ذي حق حقه دون زيادة، أو نقص، والمساواة بين أصحاب الحقوق، وعدم الرضا بالظلم على أي إنسان.

وكما يقول ابن منظور: هو القصد في الأمور والإنصاف والمساواة، والحكم بالاستواء بحيث لا يرجح شخصان متماثلان في الصفات، أحدهما على الآخر.(١)

وهو من القيم الإسلامية الراسخة في المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾(٢).

فكلمة عدل ومشتقاتها تكررت في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثين مرة، وقد جاءت على صور متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر الكلمات الآتية " فعدلك – لأعدل – تعدل – اعدل – اعدلوا – عدلا "(٣).

ويشير هذا التكرار إلى عناية القرآن الكريم بقضية العدل، والذي هو من أسماء الله الحسنى، ويوضح القرآن أن العدل صفة من صفات الرسول ﷺ، وكذا صفة من صفات عباد الرحمن المؤمنين فيقول سبحانه وتعالى آمرًا رسوله ﷺ بالعدل ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ (٤)، ويقول سبحانه آمرا عباده المؤمنين بالعدل والقسط ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾(٥)

(١) لسان العرب لابن منظور مادة عدل ١١/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) سورة النساء جزء من الآية رقم (٥٨).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبدالباقي، مادة عدل صـ ٥٦٩، ٥٧٠.

(٤) سورة الشورى جزء من الآية رقم (١٥).

(٥) سورة النساء الآية رقم (١٣٥).

ويوضح القرآن الكريم أن العدل أساس من أسس الشريعة الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس المادية والأدبية والسياسية في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

ولم يقتصر التوجيه القرآني لإقامة العدل وإرساء قواعده، أن يكون بين المسلمين فحسب بل شمل غير المسلمين من أهل الكتاب أو من غيرهم من المشركين أو الملحدين، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، وكذا صون الأعراض والممتلكات والأموال بعدم غصبها أو الاعتداء عليها والحكم والفصل في القضايا والخصومات بين الجميع على السواء بغض النظر عن الدين أو الملة أو الجنس واللون فالناس أمام العدل سواء.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(٢)

والرسول ﷺ كان في الحق والعدل لا يعرف صديقا ولا قريبا فالجميع مسئولون عن أعمالهم أمام الله وأمام الشريعة، ومما يدل على ذلك أنه لما كلمه أسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان معروفا بحب رسول الله ﷺ له ولأبيه زيد فهو الحبيب، وابن الحبيب لما كلم رسول الله ﷺ في شأن المرأة المخزومية التي سرقت، غضب ﷺ غضبا شديدا، وقال له أتشفع في حد من حدود الله، ثم جمع الناس وخطب فيهم قائلًا " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ

(١) سورة النحل الآية رقم (٩٠).

(٢) سورة النساء الآية رقم (٥٨).

أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "(١).

وفي تاريخ الإسلام مواقف رائعة لدقة العدالة في الحكم، فها هو سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ إذا جاءه خصومٌ نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يجد في الكتاب نظر في السنة، فإن لم يجد، سأل المسلمين لعل بعضهم سمع من النبي ﷺ ما يتعلق بالمسألة، ولم يسمعه هو ﷺ، فإن أعياه الأمر جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن اجتمع رأيهم على أمر قضى به.

وها هو عمر بن الخطاب ﷺ يعدل في الحكم لصالح القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص، ويعطيه الدرة ويقول له اضرب ابن الأكرمين، بل يقول له اضرب بها على صلعة عمرو فباسمه ضربك ولده، فيقول المصري يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني، فقال له عمر: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم قال قولته المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، ومما وعاه التاريخ من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بجانب خصمه اليهودي الذي سرق درعه، فقد وقف كلاهما أمام القاضي شريح، الذي لم يمنعه إكباره وإجلاله لأمير المؤمنين أن يسأله البَيِّنَة على سرقة اليهودي لدرعه، ولما لم يجد أمير المؤمنين البَيِّنَة، حكم القاضي بالدرع لليهودي على أمير المؤمنين.

وها هو سيدنا عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين قد ضرب أروع الأمثلة في الحكم العدل والوزن بالقسط والقضاء بإنصاف ما لا يتسع المجال لذكره.

والتاريخ الإسلامي حافل بأمثال هذه الأخبار الدالة على سيادة الحق والعدل في المجتمع الإسلامي، وبذلك انتظمت العلاقات على أساس من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فَسَادَ الشعور بالأمن والطمأنينة وكذا السكينة والاستقرار

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار ٤/ ١٧٥، وكذا أخرجه مسلم في الحدود باب قطع السارق الشريف وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِى الْحُدُودِ ٥/ ١١٤.

داخل المجتمع.

ثانيا: الشورى

لقد عني الإسلام عناية خاصة بمبدأ الشورى واعتبره من القيم الكبرى في المجتمعات الإسلامية.

وليست الشورى فيه على غرار الشورى في المجتمعات الديمقراطية، فهذه شورى ابتدعها الإنسان للتشاور في صيغة حكمه نفسه بنفسه.

أما الشورى في الإسلام فهي من الله تعالى الذي أمر رسوله ﷺ صراحة بمشاورة المسلمين في القرآن الكريم قائلا "

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١)

وجعل سبحانه وتعالى الشورى صفة لازمة للمؤمنين المصدقين المستجيبين لله تعالى فقال عزَّ من قائل سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾(٢)

وقد بلغ اهتمام القرآن الكريم بالشورى أن أطلق هذا الاسم على إحدى سوره، ألا وهي (سورة الشورى).

ولقد سبق الإسلام في تقرير هذه القاعدة جميع الأنظمة والمذاهب الأخرى منذ أكثر من أحد عشر قرنا لأن معظم المجتمعات الحديثة اقتبست هذه الفكرة من مبادئ الثورة الفرنسية، والشورى في الإسلام مقدمة لأنها أمر رباني، لا يجوز لحاكم ولا لغيره أن يعطلها ليبسط سلطان طغيانه على الأرض، قال تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ

(١) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (١٥٩).

(٢) سورة الشورى الآية رقم (٣٨).

بَيۡنَهُمۡ﴾(١).

والمتتبع لحياة الرسول ﷺ يجد أنه كان يستشير المسلمين في معظم الأمور إلا تلك التي ينزل عليه فيها وحي من الله تعالى أو ينص عليها القرآن الكريم.

حدث هذا في غزوة بدر، وأحد، والخندق، وفي غيرها من الغزوات، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكنَّ البحثَ لا يتسع لتفصيلها.

ولقد أراد النبي ﷺ أن يُعلِمَ المسلمين حكامًا ومحكومين بوجوب إقامة دولتهم على المشورة، و المشاركة بين الحاكم والشعب في جميع الظروف والأحوال.

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا المبدأ العظيم فاختار المسلمون أبا بكر رضي الله عنه بعد مشاورة ومناقشة وصلت إلى درجة كبيرة من الخلاف، وهكذا كان اختيار أول حاكم للمسلمين بالمشاورة الكاملة.

وبعد تولية أبي بكر الخلافة استشار المسلمين في أمر المرتدين ومانعي الزكاة ثم شاروهم في أن يعهد بالخلافة للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فالشورى حقيقة في النظام السياسي في الإسلام، ولكن طريقة تطبيقها قد تختلف من حال إلى حال، ولا يُمنَع أن يعمد مجتمع آخر إلى تنظيم الشورى واختيار أهل الحل والعقد بطريقة أخرى كالانتخاب مثلا، ويجب ألا تنتهي الشورى إلى ما يخالف نصًا أو يخرج على روح الشريعة.

بل إننا نستطيع القول بأن اقتصار الإسلام في شؤون الحياة على القواعد العامة من أهم العوامل لأمره بالشورى، وذلك لمجاراة الزمن، وسد الحاجة للتطور والتقدم.

فشتان ما بين شورى تعتمد في تكوينها على الشارع، وما يضطرب فيه من اختيارهم لمن هم ليسوا أهلًا للشورى، وبين شورى تقوم على رجال مشهود لهم بالصلاح والتقوى والخوف من الله.

(١) سورة الشورى جزء من الآية رقم (٣٨).

ثالثًا: الحكمة

الحكمة: هي إصابة الحق بالعلم والعقل، والعلم بمعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ووضع كل شيء في موضعه اللائق به الجدير باحترامه.(١)

ومما يوضح قيمة الحكمة ويُجَلِّي من مكانتها أن آيات القرآن الكريم التي وردت فيها كلمة الحكمة تزيد على عشرين آية (٢)

تأتي تارة مفردة وتارة مقرونة بالكتب فالمفردة كقوله تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(٣)

أما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة كاملة سواء كانت من أقوال النبي ﷺ أو أفعاله أو تقريراته، قال ربنا جلَّ وعلا ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(٤)

وللحكمة درجات ذكرها ابن القيم – رحمه الله – في كتابه مدارج السالكين(٥) فقال:

الدرجة الأولى: أن تعطيَ كلَّ شيء حقه، ولا تجاوزه حده، ولا تُعَجِّلُه عن وقته، ولا تُؤَخِّرُه عنه.

الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ برَّه في منعه.

الدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك

(١) لسان العرب لابن منظور، باب الميم مادة حكم ١٢/ ١٤٣.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبدالباقي، مادة حكمة صـ ٢٧٠-٢٧١.

(٣) سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

(٤) سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٩، ٤٨٠ بتصرف.

الغاية.

وللحكمة أسس ودعائم تقوم عليها، يقول ابن القيم[١] أيضا: للحكمة ثلاثة أركان هي: ١- العلم، ٢- الحلم، ٣- الأناة.

وأضرارها وآفاتها: ١- الجهل، ٢- الطيش، ٣- العجل.

فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول.

والحكمة تحقق للمسلم الإقامة على الإسلام والدوام على هدى الله عزَّ وجل، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]

والحكمة تحقق للمسلم تنمية المواهب والقدرات والتدبر والتفكر.

والحكمة من أثمن نتائج التميز والتفكير.

فالعلم يخطط الأسس النظرية، ثم يكتمل ويصقل بالخبرة العلمية المبنية على المهارات والتجارب.

فالتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصيرةً، والحليم حلمًا، وتجعل العاقل حكيمًا.

رابعًا: المساواة

المساواة مبدأ أصيل من المبادئ الإلهية للمجتمعات الإنسانية

منبثقة عن وحدة المنشأ من أبوين، وليست وليدة اجتهاد فردي، أو نتاج تفكير فلسفي، وإنما هي مبدأ أصيل قرره رب الأرض والسماء، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣]

(١) المصدر نفسه ٢/ ٤٨٠، ٤٨١ بتصرف.

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم (٧٣).

(٣) سورة الحجرات الآية رقم (١٣).

فالمساواة التي أقامها الرسول ﷺ مبنية على أساس من القرآن الكريم، فلا ينبغي أن يقال إن القرآن عربي، والإسلام عربي، فهذه هي عصبية الجاهلية، وتفاخر بالأنساب والأحساب، فالناس كلهم في ميزان الإسلام سواء " لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى "(١)، والرسول ﷺ هو القائل «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»(٢).

فالعصبية لا تكون إلا للإسلام وفي ظل الإسلام تتحقق محبة الأوطان والأقاليم.

وقد أعطى الرسول ﷺ للإنسانية في كل زمان ومكان، دروسا عملية في المساواة.

فقد ولَّى بلالًا على المدينة، وفيها من وجوه الناس، وأمَّرَ أسامة بن زيد، وهو مولى، على جيش فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولقد قوَّى النبي ﷺ هذا الأصل الكريم في مواطن عدة، ومن أشهر ما قاله الرسول ﷺ في ذلك " لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بالأنساب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح "(٣)

وقد حرص المسلمون بعد النبي ﷺ على هذه السنة الكريمة فلم يفرقوا بين الناس بحسب أصولهم وألوانهم بل تركوا الحكم للمزايا الذاتية والمميزات الأدبية.

فالحسن البصري، وهو إمام المحدثين كان فارسيا، وأبو حنيفة النعمان، وهو أول الأئمة المجتهدين كان فارسيا، وكان القدر الأكبر من أصحاب الصحاح في الحديث كالبخاري، ومسلم، وابن ماجة، والترمذي، والنسائي، والبيهقي، وغيرهم، من

---

(١) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار رقم ٢٢٣٩١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب – باب في العصبية ٤/ ٣٣٢/ ٥١٢١.

(٣) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار رقم ٢٢٣٩٠.

أجناسٍ شتى، وكذلك أئمة التفسير، واللغة العربية، كان معظمهم من غير العرب.

وإذا كان الإسلام قرر هذه القيمة في المجتمع الإسلامي منذ ظهوره، فإن الإنسانية حتى عصرنا الحاضر لا تزال تعاني من مشكلة التفرقة العنصرية، ومن مشكلة الملونين، والتفاوت بينهم وبين البيض، مما يجعلنا كمسلمين نعتز بالإسلام الذي جعل المساواة قيمة من قيم الإسلام الثابتة.

وما ذكرناه من نماذج للقيم المتفقة مع السلوك الإسلامي إنما هي جزء من القيم التي أحصاها علماء الأخلاق في الإسلام فالأمم لا تقاس بمقدار ما تملك من قوة أو مال، وإنما تقاس بمقدار ما تملك من أخلاق، فقيم الحق والصدق والصبر والأمانة والحلم والأناة وغيرها من القيم التي أمر بها الإسلام قيم ترقى بالمجتمع وتنهض به في كل زمان ومكان.

يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله – " وفي الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة، والتي من بينها تنشئة النفوس على فعل الخير، وإسداء العون، وصنائع المعروف، والكرم، والإيثار، ونتائج التنشئة السمحة لا يسعد بها الضعاف وحدهم، بل تمتد آثارها الطيبة إلى المجتمع بأسره "(١).

---

(١) خلق المسلم للشيخ / محمد الغزالي صـ ١٤٢ بتصرف كثير.

(المبحث الثالث)

الترهيب من الأخلاق المخالفة للقيم الإسلامية

المقصود بالترهيب: التحذير من الوقوع في المعاصي وعدم الاستجابة للحق والثبات عليه.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحذر من الوقوع في المعاصي وعدم الاستجابة لله ورسوله والتحذير والإنذار من القيم والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي وقيمه.

وقد بين ذلك كله القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مما يجعل المسلم العاقل يؤثر الآخرة على الدنيا.

والقيمة تكون إيجابية عندما تستهدف تحقيق الخير للفرد أو الجماعة، كما أنها تكون سلبية حين تستهدف إزالة الخيرات والمنافع التي ينعم بها الأفراد والجماعات.

ولأجل الحفاظ على هذه القيم من الضياع حرَّم الإسلامُ الكثير من الأخلاق السيئة والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي النبيل.

وسوف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: -

أولا: الكبر والعجب.

الكبر: هو خلق في نفس الإنسان تعبر عنه الأعمال الصادرة عن الجوارح، وهذه الأعمال الظاهرة هي ثمرات لما في الباطن، فالباطن هو الأصل، والظاهر فرع منه.

فالمتكبر يرى نفسه فوق من يتكبر عليه، بحيث يصير كالعقيدة عنده فيفرح به ويركن إليه، ويعتز في نفسه بسببه.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي(١) في الإحياء " المتكبر هو الذي يرى الكل حقيرا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه. ويعجب بنفسه إعجابا يجعله

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٣/ ٣٤٥.

يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم ".

والكبر مفتاح الشقاء، وأساس البلاء، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ »(1).

أسباب الكبر، ومظاهره، وآثاره، وعلاجه.

أما أسباب الكبر فثلاثة:

الأول: العجب بالنفس، وهو يتعلق بالمُتَكَبِّر، مما يؤدي به إلى احتقار الناس، والترفع عليهم.

الثاني: الحقد والحسد، وهو يتعلق بالمُتَكَبَّر عليه.

الثالث: الرياء، وهو يتعلق بغيرهما.

وعلى هذا فالكبر يستدعي هذه الأمور الثلاثة.

إنسان متكبر، وموجود يتكبر الإنسان عليه، وسببا لهذا الكبر.

فعندما يرى الإنسان لغيره منزلة، ويرى لنفسه منزلة، ويرى أن منزلته فوق منزلة غيره، عندئذ يحصل خلق الكبر، والتعالي بالمفاخرة.

والكبر حين يستشري في النفس ويتمكن من قلب الإنسان، ويملك عليه حسه وفكره، يكون أسوأ ما يصيب الإنسان من أمراض القلوب، فما من خلق من الأخلاق المذمومة إلا وتجد صاحب الكبر متصفا به، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾(2)

والكبر يتدرج في نفس المتكبر إلى ثلاث درجات.

الأولى: الكبر على الله عزَّ وجل، وهو أفحش أنواع الكبر،

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ١/ ٩٣.

(2) سورة الأعراف جزء من الآية رقم (١٤٦).

قال الله تعالى " إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ " [(١)]

الثانية: الكبر على رسول الله ﷺ، وذلك كقول كفار العرب

" وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " [(٢)].

الثالثة: الكبر على العباد، كطغيان قارون، وتكبره على قومه، وإعراضه، قال الله تعالى " فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ " [(٣)].

وللكبر مظاهر وآثار عديدة، منها:

* **الاختيال في المشية**: قال تعالى " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[(٤)]

* **التقعر في الحديث**: يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا»[(٥)].

* **محبة التقدم على الغير**: سواء كان ذلك في المشي، أو المجلس، أو في الحديث، أو نحو ذلك.

ومن آثاره: القلق، وخيبة الأمل، والبعد عن الله تعالى، فقد قال عَزَّ وَجَلَّ "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ "[(٦)].

كذلك يُحرَمُ المتكبر من العون والتأييد الإلهي، قال تعالى "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ

(١) سورة الصافات الآية رقم (٣٥).

(٢) سورة الزخرف الآية رقم (٣١).

(٣) سورة القصص الآية رقم (٨١).

(٤) سورة لقمان الآية رقم (١٨).

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام ٤/ ٣٠١.

(٦) سورة طه الآية رقم (١٢٤).

بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "(١)

أما علاجه فإنما يتحقق بتذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة عليه فهذا التذكير يحرك النفس من داخلها، ويحملها على أن تتوب قبل فوات الأوان.

كذلك ينصح المتكبر بعيادة المرضى، ومشاهدة أهل البلاء، وتشييع الجنائز، ومجالسة الفقراء، والتفكر في النفس والكون، وحضور مجالس العلم.

ثانيا: قطيعة الرحم

قطيعة الرحم تعني الإساءة إلى الرحم بعدم صلتها وعدم إيصال ما أمكن من الخير لها، ودفع ما أمكن من الشر حسب الطاقة.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنهى المسلم أن يعق رحمه وذوي قرابته، وتأمره بالصلة، وتنهاه عن القطيعة بمنع مال أو زيارة أو غيرها، قال تعالى "**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** "(٢)

ولا خلاف بين العلماء أن صلة الرحم واجبة، وقطيعتها معصية كبيرة وتكون الصلة بالمال والزيارة وعيادة المريض وإجابة الدعوة وسداد الدين، أو المساعدة في سداده، وإغاثة اللهفان، وتمريض المريض، قال تعالى " **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** "(٣)

ويقول تعالى " **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** "(٤)

وقال رسول الله ﷺ « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٢٣).

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٧).

(٣) سورة الرعد الآية رقم (٢١).

(٤) سورة الإسراء جزء من الآية رقم (٢٦).

رَحِمَهُ »(١).

وهناك عشرات الآيات، ومئات الأحاديث التي توضح لنا أهمية هذه القيمة الاجتماعية (صلة الرحم)، وخطورة عصيان الأمر الإلهي بصلة الرحم على الفرد والمجتمع وعقاب الله تعالى باللعنة وفقدان البصر والبصيرة.

قال تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾(٢)

ثالثاً: عقوق الوالدين

قال ابن حجر: " عقوق الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان من جملة الصغائر فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين من الصغائر إلى الكبائر، أو يخالف أمر والديه أو أحدهما ".

فالمسلم يؤمن بحق والديه عليه، لا لكونهما سبب وجوده، وتحملهم الكثير من الأعباء والتضحيات من أجل الأبناء، ما وجب معه مكافأتهما بالمثل خاصة الأم التي حملت وليدها وَهنًا وضعفًا، وواجهت أثناء ولادته مشقة وعسرًا.

بل يؤمن المسلم بحق الوالدين وواجب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما لأن الله عزَّ وجل هو الذي أوجب طاعتهما وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما قال تعالى "**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾**" (٣).

وقد جاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة ما للوالدين من فضل، وما يتوجب على

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ ٣/ ٥٦ برقم ٢٠٦٧.

(٢) سورة محمد الآيتان رقم (٢٢، ٢٣)

(٣) سورة الإسراء الآية رقم (٢٣).

الأبناء البر بهما والإحسان إليهما.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:«أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:«ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:«ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:«ثُمَّ أَبُوكَ»(١)

وقد أجمع العلماء على أن عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، بل بينت الأحاديث أن هذا العقوق لا يعد من الكبائر فحسب ولكنه من أكبر الكبائر، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» (٢)

والعاق لوالديه يستجيب الله دعوة والديه ويستوجب سخط الله تعالى، فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ "(٣)

فليحذر الأبناء من العقوق بالوالدين برفع الصوت أو النظر إليهما باستهزاء، وليحذر الأبناء كذلك من أن يلجأ الأبوان لدار المسنين اتقاء شر الأبناء.

رابعًا: البخــل

قال ابن حجر: البخل هو منع ما يُطلب مما يُقتَنى، وشَرُّهُ ما كان طالبه مستحقًا ولا سيما إن كان من غير مال المسئول.(٤)

وقال القرطبي: البخل المذموم في الشرع: هو امتناع المرء أداء ما أوجب الله تعالى عليه.(٥)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابٌ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ٤/ ١٨٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ ٣/ ١٧١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ٤/ ٣١٠ رقم ١٨٩٩

(٤) فتح الباري ١٠/ ٤٥٧.

(٥) تفسير القرطبي ٥/ ١٢٦.

والبخل يعد أصلا لكل خلق مذموم فهو ذريعة لأن يكون الإنسان حريصا وسيئ الظن ومانعًا للحقوق.

والبخل نوعان:

أحدهما: بخل الإنسان بمقتنيات نفسه، والآخر: بخله على غيره.

وأكثرها ذمًا أن يبخل الإنسان على نفسه لأنه يريد ترك أولاده في ثراء يحميهم من تقلب الأيام وأحداث الليالي.

يقول الشيخ الغزالي – رحمه الله تعالى –(1)، لكن كفالة المرء لأولاده وضمانه لمستقبلهم لا يصح أن يتم على حساب دينه، وخلقه، وإنها لحماقة أن يضحي الإنسان بنفسه، وبمروءته، وبرضوان الله عليه.

وقد كشف الإسلام عن أن أولاد المسلم وأمواله كسائر النعم التي تساق اليه ليمتحن فيها فإن وقف عندها وغفل عن الواجبات المكتوبة و التضحيات المطلوبة فإن هذه النعم تكون مصدر بلائه بل تكون أذكى أعدائه وهذا تفسير قوله تعالى "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ "(2)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" (3)

---

(1) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ١٠١.

(2) سورة التغابن الآيتان رقم (١٤، ١٥).

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى" ٢/ ١١٥ رقم ١٤٤٢.

ومن مضار البخل أنه لا يجتمع مع الإيمان، وهو أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة كالشح والأثرة واتباع الهوى والكنز والتعاون على الإثم و العدوان وهو دليل على سوء الظن بالله تعالى وقلة العقل وسوء التدبر وفيه هلاك الإنسان.

و البخيل محروم في الدنيا مؤاخذ في الآخرة، وما ذكرته من نماذج للقيم المخالفة للسلوك الإسلامي إنما هي جزء من كل وهناك قيم أخرى مخالفة للسلوك الإسلامي، وهي كثيرة، ذكرت بعضها، وأشير إلى غيرها، مثل: الكذب، والظلم، وأكل حقوق الناس بالباطل، وأكل مال اليتيم.

وعامة فإن جميع القيم المخالفة لها أضرار عديدة على الفرد، والمجتمع.

(المبحث الرابع)

القيم الإسلامية في مواجهة المتغيرات المعاصرة وأثرها على الفرد والمجتمع.

تأتي أهمية المعرفة بالقيم الإسلامية وتطبيق الأوامر والنواهي المرتبطة بها من جهة أنها تتعلق بحفظ الكليات الخمسة، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

والالتزام بالقيم له آثار عظيمة في الارتقاء بشخصية الإنسان في جميع الجوانب الروحية والخلقية والعقلية والجمالية والوجدانية والمادية والاجتماعية.

فالقيم الإسلامية والتمسك بها له دور كبير في استقرار المجتمع في مواجهة التحديات والتغيرات الاجتماعية في ظل تقدم وسائل الاتصال والغزو الفكري الذي يصوب سهامه نحو المجتمع المسلم لتقويض نظامه عن طريق هدم الأسرة المسلمة وإضعاف روابطها بهدم الأخلاق الصالحة من الأساس.

والقيم الإسلامية لها دور كبير في الحفاظ على معالم الشخصية المسلمة، وسط هذه الأجواء المظلمة، والمتغيرات التي لا تتفق مع قيم الإسلام الثابتة، والقيم الإسلامية لها دور كبير كذلك في مواجهة التغيير الاجتماعي الذي تروج له وسائل الإعلام الواقعة تحت تأثير الفكر العلماني الذي قام أبناؤه بالترويج لقضايا اجتماعية تحت شعارات الحرية كما نرى ونسمع أثناء حديثهم عن حرية المرأة، والجنس، والإباحية، وتشجيع العري، والتهجم على أزواج النبي ﷺ، وتعدد الزوجات.

وللقيم الإسلامية آثار عظيمة في وقاية المجتمع من الأنانية المفرطة والتفكك والانحلال والاهتمام بالسلام العام وإشاعة روح المودة والمحبة والأخوة والتعاون والبعد عن حب الذات وإثارة الأحقاد والكراهية وترك الاستبداد والفساد.

حقًا: فرُقِيُّ المجتمعات وتقدمها لا يقاس بما حققت من منجزات العلم، وما اكتشفت في عالم المادة من مخترعات فحسب، وإنما يقاس بهذا وبشيء أهم منه، ألا

وهو سيادة القيم الإنسانية داخل المجتمعات الإنسانية.

ذلك أن القيم في المجتمع الإسلامي تستند إلى أساس متين من الإيمان بالله، ومن ثم كانت ثابتة راسخة دائمة، لا تعصف بها الأهواء، ولا تهزها الأزمات، ولا تؤثر فيها المغريات، ولا يغير في جوهرها تطور المجتمعات، وتتابع الدول، ولا مرور الأزمان وتعاقب العصور.

أثر الالتزام بالقيم الإسلامية على الفرد والمجتمع

ونختم هذا البحث ببيان أثر الالتزام بقيم الإسلام على الفرد والمجتمع.

إن المتأمل في النظريات الاجتماعية والنفسية والتربوية المعاصرة يدرك مدى التفاوت في نظرتها للفرد والمجتمع.

فبعضها نظرت إلى الإنسان نظرة مادية بحتة فأعلت جانب المادة على جانب الروح ومن ثم كان إشباع الغرائز والجانب المادي هو غاية همها ومبلغ علمها فأغرقت الفرد ومن ثم المجتمع في الفجور والفساد والعلاقات الشاذة وغيرها من المظاهر التي تتنافى مع قيمة الإنسان، والمهمة التي من أجلها خلقه الله تعالى.

وبعضها نظرت إلى الإنسان نظرة روحية بحتة فأعلت جانب الروح على جانب المادة، فأغرقت الإنسان في الروحانية والرهبانية وغيرها من المظاهر التي تصطدم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والمتأمل في القيم والأخلاق في الإسلام يدرك مدى التكريم الذي كرم الله به الإنسان، والموازنة بين طاقاته المختلفة.

ومن هنا رسم الإسلام للإنسان خطوط حياته بما لا يصطدم مع الجانبين المادي، والروحي، فاتسم الإسلام بالعمق والشمول والتكامل، حيث تناول حياة الإنسان من جميع الجوانب الإيجابية للتربية الأخلاقية المتكاملة شمولا، وعمقا.

ونستطيع أن نتعرف على كل هذه المعاني من خلال بيان أثر الالتزام بقيم وأنماط

السلوك الإسلامي على الفرد والمجتمع.

أولًا: بالنسبة للفرد.

١- الالتزام بطريق الخير، وتجنب طريق الشر، قال تعالى: " وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ "(١)

٢- تحقيق روح الأخوة الإسلامية فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: " «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢)

٣- تفجير الطاقات الإيجابية داخل الإنسان كطاقة العلم والعمل، قال تعالى: " هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" (٣)

٤- الاستعداد لتلقي الأمانة، قال تعالى "إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " (٤)

٥- الخضوع للنظام الأخلاقي، والاجتماعي، ما لم يكن فيه معصية لله، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »(٥).

٦- تكوين شخصية قوية معتزة بإيمانها ومجتمعها، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) سورة الحجرات جزء من الآية رقم (٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ١/ ٢٩ رقم ١٢.

(٣) سورة الجمعة الآية رقم (٢).

(٤) سورة الأحزاب الآية رقم (٧١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ١/ ٥٣.

قَالَ:«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.(١)

ثانيا: بالنسبة للمجتمع.

١-إقامة المجتمع القوي المترابط الأطراف الهادئ المستقر الذي تسود بين أفراده المودة والرحمة والعدالة، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "(٢)

٢-إقامة المجتمع الذي يسود بين أفراده الوعي الكامل بالمصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والإنسانية بحيث يسعى الجميع لخير الجميع قال تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " (٣).

٣- إقامة المجتمع الذي تسود بين أفراده قولا وفعلا معاني الطاعة لله والرسول، والتزكية القلبية، والجسدية، وتعليم القرآن، والسنة، قال تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ (٤).

حقا هذه هي آثار الالتزام بالمنهج القائم على التكامل والشمول، والبناء والاعتدال والتوازن، والأخوة الصادقة.

والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

(١) صحيح البخاري، كتاب البر والصلة، بَابُ تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ٤/ ١٩٠٥ رقم ٦٠٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ ٨/ ٢٠.

(٣) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٤).

(٤) سورة الصف الآيتان رقم (٢، ٣).

(الخاتمة)

لقد استطعنا من خلال معالجتنا لهذا الموضوع الذي يمثل تحديا للمجتمعات الإسلامية في عصرنا الحاضر تقديم كل ما هو ممكن من حلول جذرية حتى تعود الشخصية المسلمة إلى ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ والعهود الإسلامية الزاهرة.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث فيما يلي:

أولا: التغير في الإسلام ليس مجرد تغيير جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العقائدية، وإنما هو بحكم طبيعته منهج كلي شامل، منهج يعتمد على سلامة الغاية، وسلامة الوسيلة، وضمان مشروعيتها، وموافقتها لروح الإسلام، واحترام حقوق الإنسان. فالتغير الذي أحدثه الإسلام تم بوسيلة واحدة هي الإيمان بالله تعالى الذي صنع من قبائل العرب المتفرقة من قبل، خير أمة أخرجت للناس.

ثانيا: الطبيعة البشرية بها عنصر ثابت وعنصر متغير على الدوام وإن ارتبط العنصران ارتباطًا كاملًا في كيان الإنسان، وقد كفل التشريع الإسلامي الإلهي الثبات والتغير، وربطهما معا رباطًا محكمًا بربا ط الدين، ورباط العقيدة في الله.

ثالثا: يحاول أعداء الإسلام في كل زمان ومكان إلى هدم الإسلام بتقويض نظام المجتمع عن طريق هدم القيم والأخلاق داخل الأسرة والمجتمع المسلم وإضعاف روابطهما بهدم الأخلاق الصالحة وإحلال قيم فاسدة محل القيم والأخلاق الإسلامية تحت شعارات الحرية الشخصية وإضعاف التعليم وإفساد الإعلام وتشجيع العادات والتقاليد الدخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية.

رابعا: التغيرات التي تتعارض مع الإسلام هي التغيرات التي تشكل انحرافا عن القيم والمعايير الإسلامية، وتؤدي إلى خلق جو يهدد حياة الاستقرار السائدة في المجتمع خلال فترة زمنية معينة مما يشكل تهديدًا مباشرًا لأحد الجوانب الاجتماعية

خامسا: التغيرات المحمودة المتفقة مع الإسلام هي التغيرات التي تعود على الأمة بالنفع والخير والبركة كالتسابق في الميدان العلمي والعلوم الحديثة والعلوم العسكرية وعلوم الذرة وغيرها.

فهذه التغيرات ليست ضارة في ذاتها وإنما الذي يضر هو الخروج عن القواعد الخُلُقِيَّة ومقررات العقيدة، والإيمان الله تعالى.

سادسا: القيم الإسلامية أساس رقي المجتمع ونهضته والمجتمع الإسلامي يقوم على العديد من القيم التي نطقت بها نصوص الدين الإسلامي الحنيف من قرآن كريم وحديث نبوي شريف وسيرة السلف الصالح ﷺ أجمعين.

سابعًا: القيم الإسلامية ثابتة في أصولها، وأهدافها، ونظام القيم في الإسلام محكوم بقيم عليا نهائية، والتغير في التطبيق إنما هو من أجل الثبات وداخل في إطاره العام وليس بخارج عنه، ولا معارضٍ لأهدافه العليا، وهذا دليل قاطع على صلاحية الدين لكل زمان ومكان.

والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

فريال خالد سليمان العيسى
مدرب متخصص (ج)
قسم التربية العملية

(فهرس المراجع)

١. القرآن الكريم.

٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبدالله بن أحمد بن بكر الأنصاري القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت ط1 عام 1988 م.

٣. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي .

٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبدالباقي، مادة صـــ 569 – 570.

٥. مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (164 – 241 ه) دار إحياء التراث – مؤسسة التاريخ العربي 1991 م.

٦. صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256 ه) تحقيق / محمد علي القطب – المكتبة العصرية – بيروت 1411ه – 1991 م.

٧. صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (206 – 261 ه) دار الجيل - بيروت.

٨. سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث (202 – 275 ه) المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.

٩. سنن الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (209 – 279 ه) دار الكتب العلمية – بيروت ط1 عام 1987 م.

١٠. فتح الباري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379.

١١. رياض الصالحين لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق عبدالعزيز رباح – دار المأمون للتراث – مكتبة المنارة – ط1

(1409 ه).

١٢. القيم الإسلامية والتربية للدكتور / علي خليل مصطفى.

١٣. الإسلام والحضارة للدكتور / أحمد عبدالرحمن إبراهيم، الندوة العالمية للشباب المسلم، الرياض 1404ه.

١٤. علم النفس الاجتماعي للدكتور/ حامد زهران.

١٥. لسان العرب لابن منظور، وهو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور – دار صادر – بيروت – 1996 م.

١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار السنة المحمدية للطباعة بالقاهرة.

١٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق عصام الدين، دار الحديث – القاهرة، ط1 عام (1412 ه – 1993 م).

١٨. إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار الشعب – القاهرة.

١٩. أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي (364 - 450هـ)، دار مكتبة الحياة.

٢٠. خلق المسلم للشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية.

(فهرس الموضوعات)